استخلاص أن الرواة كانوا مطمئنين إلى أن لغة الكهان كانت مسجوعة ، وأنه كان من المألوف أن يتبع النثر بشيء من الشعر ، كما فى حديث خنافر الحميرى ، أو أن تختتم الخطبة بقطعة من الشعر كما فى خطبة قس بن ساعدة[1] .

لكن تلك الصورة الباهتة التى بدت من خلال تلك النصوص التى يؤكد الكاتب أنها وضعت بعد الإسلام . . هذه الصورة لا تعنى عنده سوى أن النثر الفنى قديم عند العرب فى الجاهلية ، فضعف تلك الشواهد لا يؤثر فى ذلك الحكم لديه ، وسبب ذلك أن هناك « شاهداً من شواهد النثر الجاهلي يصح الاعتماد عليه وهو القرآن » يقول : « فلا مفر إذن من الاعتراف بأن القرآن يعطى صورة صحيحة من النثر الفنى لعهد الجاهلية » . ويقول : « ولا ينبغى الاندهاش من عد القرآن أثراً جاهلياً ، فإنه من صور العصر الجاهلي : إذ جاء بلغته وتصوراته وتقاليده وتعابيره ، وهو ـ بالرغم مما أجمع عليه المسلمون من تفرده بصفات أدبية لم تكن معروفة فى ظنهم عند العرب ـ يعطينا صورة للنثر الجاهلي »[2] .

وعلى هذا فالقرآن عند الدكتور زكى مبارك نص جاهلى ، والأساس الذى يعتمد عليه في ذلك أن النص قد جاء بلغة الجاهلية وتصوراتها وتقاليدها وتعابيرها ، يقول :

« إنه نزل لهداية أولئك الجاهليين ، وهم لا يخاطبون بغير ما يفهمون . والنبي جاء لإرشاد قومه وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر فى الحدود التي رسمها الدين الحنيف ، ولم يكن القرآن إلا أداة لنشر الرسالة الكريمة التى أعزت العرب بعد ذل ، وهدتهم بعد ضلال . وفى القرآن نص صريح على أن الرسول

---

(١) المرجع السابق ص ٤٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٤ ، ٤٣ .